عرض كتاب

صانعو العالم: التكنولوجيا والجغرافيا السياسية الجديدة

ترجمة واعداد:سميرة ابراهيم عبد الرحمن*

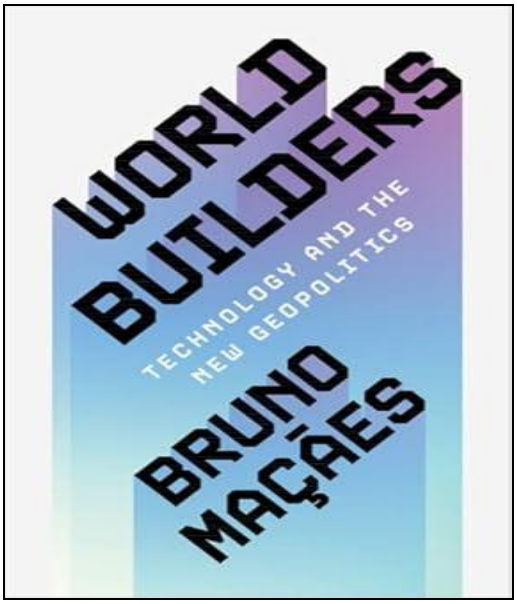

عنوان الكتاب: **صانعو العالم: التكنولوجيا والجغرافيا السياسية الجديدة**

(World Builders: Technology and the New Geopolitics)

اسم المؤلف: برونو ماكايش (Bruno Maçães)

جهة النشر: دار النشر التابعة لجامعة كامبريدج

(Cambridge University Press)

سنة النشر: ١٣ شباط/فبراير ٢٠٢٥

عدد الصفحات: ٢٧٤ص

في زمنٍ تتسارع فيه التحوّلات وتتشابك فيه القوى العالمية، تُعيد التكنولوجيا رسم ملامح الجغرافيا السياسية كما لم يحدث من قبل؛ فلم يعد الصراع يدور حول خرائط مرسومة مسبقًا، بل حول القدرة على صناعة خرائط جديدة وبناء عوالم تُفرض قواعدها وتُعاد صياغتها متى شاءت القوى الفاعلة.

هذا هو المنطلق الذي يستند إليه المفكّر البرتغالي برونو ماكايش[1] في كتابه الموسوم "**صانعو العالم: التكنولوجيا والجغرافيا السياسية الجديدة**"، الصادر عن دار النشر التابعة لجامعة كامبريدج في ١٣ شباط/فبراير ٢٠٢٥. يقع الكتاب في (٢٧٤) صفحة، ويقدّم من خلاله طرحًا فكريًا عميقًا لرصد التحوّلات الكبرى في السياسة الدولية، في عصرٍ أضحت فيه التكنولوجيا المحرّك الأبرز للتنافس الجيوسياسي.

يرى ماكايش أن الجغرافيا السياسية لم تعد مجرّد صراع تقليدي على الأراضي والحدود، بل أصبحت اليوم معركة أعمق وأشمل، تدور حول إعادة تشكيل العالم وصياغة مستقبله نفسه. فالقوى الكبرى لم تعد تكتفي بالتأثير في النظام العالمي القائم، بل تسعى إلى بناء عالم جديد تتبناه بقية الدول وتعيش ضمن قواعده، فيما تحتفظ هذه القوى لنفسها بسلطة تعديل تلك القواعد أو إعادة تشكيل المشهد العالمي بما يخدم مصالحها.

وفي زمنٍ أصبحت فيه المفاهيم التقليدية عاجزة عن تفسير تعقيدات الواقع المعاصر، يُقدّم هذا الكتاب طرحًا جذريًا لفهم العلاقة المتشابكة بين التكنولوجيا والسياسة الدولية، مسلطًا الضوء على القوى الجديدة التي تعيد رسم خرائط النفوذ والسلطة عالميًا. ويقدّم من خلال مفهوم "بناء العالم" إطارًا لفهم الترابط العميق بين أبرز أحداث العصر الراهن: من حروب التكنولوجيا بين الصين والولايات المتحدة، إلى جائحة كوفيد-١٩،

ثم الغزو الروسي لأوكرانيا، والصراعات المتجددة في الشرق الأوسط، وصولاً إلى التحوّلات الكبرى في مصادر الطاقة.

وفي خاتمة يغلب عليها التأمل العميق ، ينظر ماكايش إلى مستقبل تُصبح فيه الميتافيرس والذكاء الاصطناعي ليسا مجرد أدوات أو فضاءات افتراضية، بل العالم ذاته، عالمٌ ستتنافس القوى العظمى على صناعته والتحكم بمساراته.

يتّسم الكتاب بأسلوبه الآسر والمشوّق، ولغته السلسة، وتمكّنه من الربط بين التعقيدات السياسية والتحوّلات التكنولوجية بانسجام، الأمر الذي يجعله قريبًا ومؤثرًا لدى القرّاء الذين ينتمون إلى خلفيات معرفية متنوّعة.[٢]

نظرًا لما يحمله من أطروحات جريئة وتحليل عميق لتحوّلات الجغرافيا السياسية في عصر التكنولوجيا، حظي كتاب برونو ماكايش باهتمام واسع من قِبل النقّاد والمحللين في الأوساط الفكرية والأكاديمية. وتتناول هذه المقالة قراءتين بارزتين لهذا العمل اللافت:

الأولى قدّمها جون ثورنهيل (John Thornhill)، محرر الابتكار والتكنولوجيا في صحيفة فاينانشال تايمز (Financial Time) البريطانية، في مقال نُشر بتاريخ ٢٢ شباط/فبراير ٢٠٢٥، استعرض فيه الأفكار المركزية للكتاب في سياق التطورات الراهنة في مجالات التكنولوجيا الجيوسياسية.

أما القراءة الثانية، فهي مراجعة كتبها ج. جون إيكنبيري (G. John Ikenberry)، أستاذ السياسة والشؤون الدولية في كلية ألبرت جي. ميلبانك (Albert G. Milbank) بجامعة برينستون (Princeton University) ، هو أيضًا المدير المشارك لمركز دراسات الأمن الدولي في جامعة برينستون، وباحث عالمي متميّز في جامعة كيونغ

هي (Kyung Hee University) في سيئول،كوريا. ومؤلف الكتاب المرجعي "عالم آمن للديمقراطية: الأممية الليبرالية وأزمات النظام العالمي" (A World Safe for Democracy: Liberal Internationalism and the Crises of Global Order)[٣]، الصادر في ٢٠٢٠ عن جامعة يآل. وقد نُشرت مراجعته في عدد ايار/مايو– حزيران/يونيو ٢٠٢٥ من مجلة الفورين أفيرز، قدّم فيها تحليلًا نقديًا لكتاب ماكايش في ضوء التحوّلات البنيوية التي تشهدها المنظومة الدولية.

جاء في عرض جون ثورنهيل في مقاله الموسوم "التكنولوجيا الكبرى ونشأة النظام العالمي الجديد للذكاء الاصطناعي" (Big Tech and the genesis of AI's new world order) ان برونو ماكايش يتناول المشهد الجيوسياسي من زاوية أوسع وأكثر عمقًا تاريخيًا، مستكشفًا الروابط العميقة بين التقدم التكنولوجي والتحولات الجيوسياسية. يرى ماكايش أن التاريخ الحديث مرّ بأربع لحظات جيوسياسية مفصلية، شكّلت كلٌّ منها تصورًا مغايرًا لطريقة بناء العالم وفهمه.

اللحظة الأولى جاءت في مطلع القرن العشرين، حين أصبح العالم بأسره خاضعًا للقياس والسيطرة. لم يعد الصراع يدور حول اكتشاف أراضٍ جديدة، بل أصبح يتمحور حول فرض نماذج مختلفة لإدارة العالم المرسوم على الخرائط.

اللحظة الثانية جاءت مع اختراع الأسلحة النووية، التي وضعت البشرية في موقف متناقض؛ إذ أصبحت قادرة على كل شيء وفي الوقت نفسه عاجزة تمامًا، تتأرجح باستمرار على حافة الهلاك الشامل.

اللحظة الثالثة تمثّلت في عودة الصين إلى المسرح العالمي في هذا القرن، وسعيها إلى بناء نموذج ثقافي وتنموي مغاير للغرب.

أما اللحظة الرابعة، التي ما زالت في مراحلها الأولى وملامحها غير واضحة تمامًا، فهي عصر الأتمتة البرمجية. نحن نشهد انتقالًا من عالم مادي مبني على الذرات (atoms) إلى عالم رقمي يتكوّن من البتات[٤] (bits) ، مما يخلق منافسات افتراضية جديدة. وقد أصبح الصراع بين الولايات المتحدة والصين غير مرئي وغير مباشر، إذ لم يعد يدور فقط حول الصواريخ والبوارج، بل أصبح يشمل معايير الإنترنت وبروتوكولاته. يستشهد ماكايش باقتباس من رواية " كثيب"[٥] (Dune) لفرانك هربرت (Frank Herbert):

"**حين سلّم البشر تفكيرهم للآلات أملاً في التحرّر، لم يحررهم ذلك، بل مكّن رجالاً آخرين، يمتلكون تلك الآلات، من استعبادهم**".

وفي هذا السياق، يكتب ماكايش أن اللعبة الكبرى اليوم هي "لعبة غايتها وضع قواعد اللعبة. ."ويضيف "الجغرافيا السياسية لم تعد صراعًا على السيطرة على الأراضي، بل على صناعة الأراضي ذاتها. فعندما يعمل خصمك على بناء عالم صناعي أو تكنولوجي بالكامل، قادر في النهاية على إعادة تعريف واقعك أنت، تصبح الجغرافيا السياسية ليست مجرد مسألة وجود، بل مسألة كينونة (ontological) ."

ويشير ماكايش إلى أن كارل روف (Karl Rove)، المستشار السياسي في إدارة جورج بوش الابن، كان من أوائل من أدركوا قواعد اللعبة الجديدة وعبّروا عنها، إذ قال في عام ٢٠٠٤: "نحن الآن إمبراطورية، وعندما نتحرّك، فإننا نخلق واقعنا الخاص. وبينما أنتم منشغلون بدراسة هذا الواقع، نكون نحن قد تحركنا مرة أخرى وخلقنا واقعًا جديدًا."

لاحظ المراقبون الصينيون بسرعة أن الغرب ربح الحرب الباردة دون بارود، في إشارة إلى قوة النفوذ الأيديولوجي. وردًا على ذلك، أطلق الرئيس الصيني شي جينبينغ مشروع "الحلم الصيني"[٦]، مركّزًا على نهضة الأمة الصينية.

وقد أدّى هذا إلى ظهور تنافس بين عالمين متخيلين، أو كما يصفه ماكايش "صراع بين مصمّمين ومبرمجين، كلٌّ منهم يسعى إلى بناء أقوى آلة أحلام ممكنة".

يقدّم ماكايش في هذا الكتاب طرحًا مثيرًا وجذّابًا لاستكشاف البعد الافتراضي للجغرافيا السياسية. ويبقى من المثير للانتباه تتبّع ما إذا كانت رئاسة دونالد ترامب تمثّل استمرارًا لهذا المسار الذي يرصده ماكايش، أم انقطاعًا عنه.[٧]

وجاء في مراجعة . جون إيكنبيري للكتاب المنشورة في ٢٢ نيسان /ابريل٢٠٢٥ ان برونو ماكايش يرى أن الثورات التكنولوجية في القرن الحادي والعشرين تُعيد تشكيل المنطق العميق للسياسة العالمية. فالتطور المتسارع في التقنيات الأساسية، كالذكاء الاصطناعي، والحوسبة الكمية، والاتصالات، لا يقتصر أثره على دفع عجلة الابتكار، بل يفتح آفاقاً جديدة وواسعة من "الأراضي الاصطناعية"[٨] التي باتت مسرحاً لمنافسة شديدة بين الدول الكبرى، وفي مقدمتها الولايات المتحدة والصين.

لقد انتقلت "فضاءات التفاعل" (spaces of interaction)[٩] التي تجري فيها تفاعلات السياسة الدولية من كونها جغرافية ملموسة إلى "فضاءات افتراضية" (virtual spaces).[١٠] وينظر ماكايش إلى المستقبل متوقعاً أن السيطرة الحاسمة على القواعد والمؤسسات التي تشكل النظام العالمي ستُحسم داخل هذا العالم الافتراضي.

ومع أن الكتاب لا يقدم طرحاً مقنعاً تماماً بأن قوة عظمى واحدة قادرة على احتكار هذا الفضاء الافتراضي، بما يحتويه من شبكة اتصالات، وتدفق معلومات، وأنظمة تكنولوجية ضخمة، فإن المؤلف يضع يده على حقيقة لا يمكن إنكارها: لقد دخلنا عصراً جديداً أصبحت فيه التكنولوجيا في صميم الجغرافية السياسية.[١١]

الهوامش

* رئيس مترجمين أقدم في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية/جامعة بغداد

samira.ibrahim@ cis.uobaghdad.edu.iq

[١] المفكر والكاتب البرتغالي برونو ماكايش هو دبلوماسي سابق وخبير في الجغرافيا السياسية، معروف بتحليلاته العميقة وآرائه المثيرة للجدل حول العلاقات الدولية، ولا سيما في منطقة الشرق الأوسط. وحتى الآن، لم تصدر أي تصريحات رسمية من الجانب التركي تعقيبًا على تصريحاته.

يشغل ماكايش حالياً منصب مستشار أول في شركة "فلينت غلوبال"، حيث يقدم استشارات لعدد من أبرز الشركات العالمية في مجالي الجيوسياسة والتكنولوجيا. كما يكتب عموداً منتظماً في مجلة "ذا نيو ستيتسمان" (New Statesman). وهو عضو في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، وقد تولى سابقاً منصب وزير الدولة للشؤون الأوروبية في البرتغال خلال أزمة منطقة اليورو.

من أبرز مؤلفاته:

- فجر أوراسيا: على خطى النظام العالمي الجديد (٢٠١٨) (The Dawn of Eurasia: On the Trail of the New World)
- مبادرة الحزام والطريق: نظام عالمي صيني (٢٠١٨) (Belt and Road: A Chinese World Order)
- لقد بدأت فصول التاريخ:ولادة اميركا جديدة (٢٠٢٠) (History Has Begun: The Birth of a New America)
- الجيوسياسة في زمن النهاية: من الجائحة إلى أزمة المناخ (٢٠٢١) (Geopolitics for the End Time: From the Pandemic to the Climate Crisis

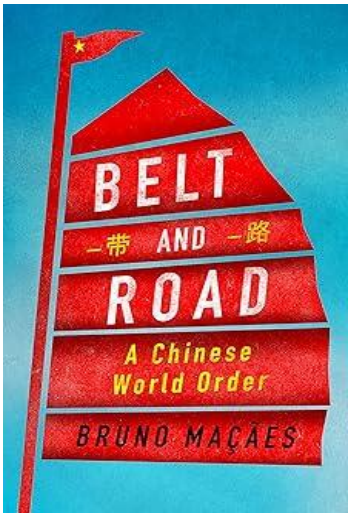
BELT
一带 AND 一路
ROAD
A Chinese World Order
BRUNO MAÇÃES

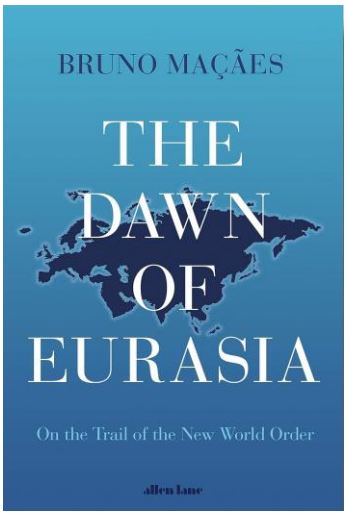
BRUNO MAÇÃES
THE DAWN OF EURASIA
On the Trail of the New World Order
Allen Lane

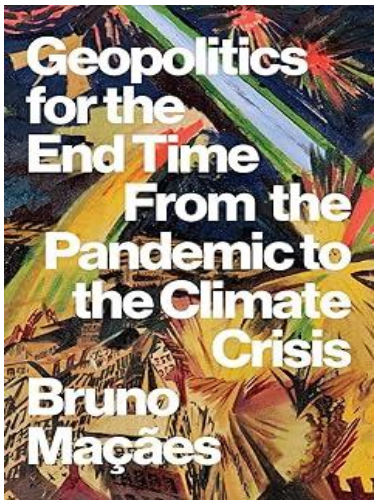
Geopolitics for the End Time
From the Pandemic to the Climate Crisis
Bruno Maçães

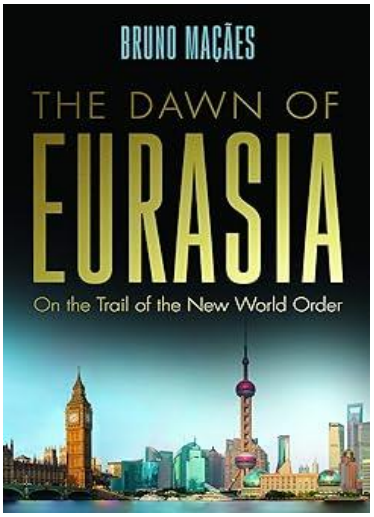
BRUNO MAÇÃES
THE DAWN OF
EURASIA
On the Trail of the New World Order

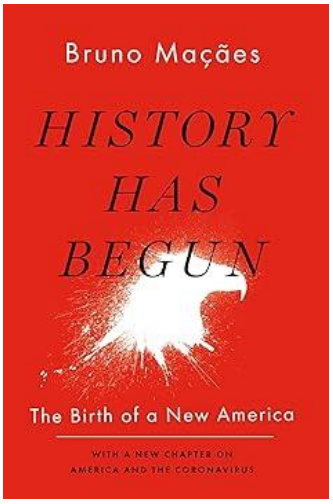
Bruno Maçães
HISTORY HAS BEGUN
The Birth of a New America
WITH A NEW CHAPTER ON AMERICA AND THE CORONAVIRUS

(المترجمة)

- مجلة ذا نيو ستيتسمان (المعروفة بين عامي ١٩٣١ و١٩٦٤ باسم ذا نيو ستيتسمان آند نيشن) هي مجلة بريطانية تُعنى بالأخبار السياسية والثقافية وتُنشَر في لندن. تأسست في ١٢ أبريل ١٩١٣ كمراجعة أسبوعية للسياسة والأدب، وكانت في بدايتها مرتبطة بسيدني وبياتريس ويب وغيرهما من أبرز أعضاء جمعية فابيان الاشتراكية، مثل جورج برنارد شو، الذي كان أحد المدراء المؤسسين.

تُصدر المجلة اليوم بصيغة هجينة تجمع بين النسخة المطبوعة والرقمية، وتُعرّف نفسها بأنها تتبنى توجهًا سياسيًا ليبراليًا حديثًا وتقدميًا، يعكس روح العصر ويواكب تطورات المشهد السياسي والثقافي. (المترجمة نقلا عن Wikipedia, the free encyclopedia)

[٢] يمكن الاطلاع على تعريف الكتاب حسب جامعة كامبريدج عبر موقعها الإلكتروني

https://www.cambridge.org/us/universitypress/subjects/politics-international-relations/international-relations-and-international-organisations/world-builders-technology-and-new-geopolitics

[٣]

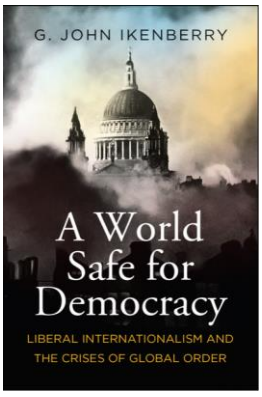

[٤] هي أصغر وحدة للمعلومات، وهذه الوحدات الأساسية تُستخدم لتمثيل وتخزين البيانات داخل الحواسيب والأنظمة الرقمية، وهي اللبنات الأساسية التي تُبنى عليها كل البرامج والأنظمة الرقمية التي نتعامل معها يوميًا. (المترجمة)

[٥] رواية "كثيب" انتصارٌ للخيال، وواحدة من أكثر روايات الخيال العلمي مبيعًا في التَّاريخ.تدور أحداثها في المستقبل البعيد بعد أكثر من ٢٠ ألف سنة، على كوكب أرَّاكس الصحراوي، وتسرد قصَّة الصبيِّ پول آتريديز -الذي صار يُعرف باسم المؤدِّب- في مزيج مذهل من الخيال العلمي والمغامرة والصوفية والقضايا البيئية والسياسية.

فازت بأوَّل جائزة نبيولا عام ١٩٦٦، وتشاركت جائزة هيوجو مناصفةً في العام نفسه، وشكَّلت حجر الأساس لواحدة من أعظم الملاحم في تاريخ أدب الخيال العلمي.

قالت عنها مجلة ذا نيويوركر " كثيب الآن قد تكون أهمَّ بكثير ممَّا كانت حين نُشِرت أوَّل مرَّة". اما شيكاجو تريبيون فأكدت انها " معلم من معالم أدب الخيال العلمي الحديث". في حين عرفتها واشنطن پوست بـ" ظاهرة مذهلة في أدب الخيال العلمي". (المترجمة)

[٦] الحُلم الصيني" هو مصطلح سياسي طرحه الرئيس الصيني شي جينبينغ عام ٢٠١٢ ويُعبّر عن رؤية شاملة لتحقيق "النهضة العظيمة للأمة الصينية"، من خلال إعادة بناء مكانة الصين كقوة عالمية كبرى.

يقوم هذا الحلم على تحقيق ما يُعرف بـ"هدفيّ المئويتين": بناء مجتمع رغيد العيش بشكل معتدل بحلول عام ٢٠٢١ (الذكرى المئوية لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني)، وتحويل الصين إلى دولة اشتراكية حديثة، قوية ومزدهرة بحلول عام ٢٠٤٩ (الذكرى المئوية لتأسيس جمهورية الصين الشعبية).

بخلاف الحلم الأميركي الذي يركّز على تطلعات الفرد، يتميّز الحلم الصيني بتركيزه على الجماعة، وعلى الدور المركزي للدولة والحزب في قيادة هذا التحوّل. كما يُقدَّم الحلم الصيني بوصفه مشروعًا متوازنًا يجمع بين التقاليد الثقافية الصينية والتحديث التكنولوجي والتنمية السلمية، ويتخذ بعدًا

عالميًا من خلال مبادرات كـ"الحزام والطريق" التي تسعى لتوسيع نفوذ الصين عالميًا بطريقة تعاونية. يُعد الحلم الصيني أداة سياسية وإيديولوجية تعيد صياغة العلاقة بين الدولة والمواطن، وتمنح الحزب الشيوعي شرعية جديدة مستندة إلى الوعد بتحقيق الازدهار والاستقرار والنهوض الوطني. (المترجمة، نقلًا عن عدة مصادر منها https://www.alaraby.co.uk/investigations و https://en.wikipedia.org/wiki/Two_Centenaries و

https://time.com/٤٠٧٧٦٩٣/chinese-dream-xi-jinping) و
https://www.ft.com/content/٦٤٨a٣dfb-b٨aa-٤a٤٨-٨٩٢٥-٥٨dbe٨١dacf٢

[٧] يمكن الاطلاع على المقال المنشور في مجلة فاينانشال تايمز (Financial Times) عبر موقعها الإلكتروني

https://www.ft.com/content/٣٩eb٩٠٣٤-٤٤٤c-٤٥٨d-٩aa٤-d٢ee٣٤٩ffc٠f

[٨] مصطلح "new artificial territories" يشير إلى أراضٍ أو أقاليم تُنشأ أو تُعاد صياغتها بالكامل بواسطة التقنيات البشرية، سواء كانت هذه التقنية مادية مثل الجزر الاصطناعية في البحر، أو رقمية مثل البنية التحتية السيبرانية، أو فضائية ومتعلقة بالذكاء الاصطناعي والسيطرة على البيانات. في السياق الجيوسياسي، يعني هذا تجاوز الحدود التقليدية للدولة نحو خلق "أراضي" جديدة يمكن استثمارها واستغلالها استراتيجيًا. فعلى سبيل المثال، تُعد الجزر الصناعية التي بنتها الصين في بحر الصين الجنوبي أداة لتحقيق نفوذ بحري واستراتيجي داخل ما يُعرف بمنطقة "المنطقة الرمادية" في الصراعات الدولية . كذلك تُعتبر شبكات الألياف والبنى التحتية للاتصالات الرقمية جزءًا من "أراضي صناعية" افتراضية، إذ أصبحت السيطرة على تدفق البيانات والبنى الرقمية عنصرًا حاسمًا في بناء النفوذ الدولي وتحويل المبادرات السيبرانية إلى أدوات جيوسياسية فعالة . باختصار، تعبّر هذه العبارة عن واقع جديد تُصارَع فيه الدول على إنشاء مساحات استراتيجية تقنية—سواء كانت ملموسة أو افتراضية—تشكل معارك السيطرة على المستقبل. (المترجمة نقلًا عن عدة مصادر منها: https://internationallaw.blog/٢٠٢٣/١١/١٣/floating-

sovereign-tech-island-paradises-on-the-legal-framework-and-status-of-floating-artificial-islands-in-the-high-seas

و https://federicodiaz.net/articles/j-m-ledgard

[٩] تُشير فضاءات التفاعل (Spaces of Interaction) إلى البيئات أو السياقات، سواء كانت مادية أو رقمية، التي يتم فيها تبادل الأفعال، والمعاني، والتجارب بين الأفراد أو بين الإنسان والتقنية. وقد تطورت هذه الفضاءات من كونها مرتبطة بالحيز الفيزيائي (كالمدارس، والمقاهي، والساحات العامة) إلى أن أصبحت تشمل البيئات الرقمية (كالمنصات الاجتماعية، وتطبيقات التواصل، والواقع الافتراضي)، مما أدى إلى إعادة تشكيل طبيعة العلاقات الاجتماعية والمعرفية. (المترجمة)

[١٠] الفضاءات الافتراضية (Virtual Spaces): هي بيئات رقمية يتم إنشاؤها باستخدام تقنيات الحوسبة والاتصال، تتيح للمستخدمين التفاعل مع عناصر رقمية أو مع مستخدمين آخرين داخل حيّز غير مادي، غالبًا ما يكون ثلاثي الأبعاد وتفاعليًا. تُستخدم هذه الفضاءات في مجالات متنوعة مثل التعليم، الترفيه، العمل عن بعد، والواقع الافتراضي (VR) أو المعزّز (AR). وتمثل تحولًا في طبيعة التواصل الإنساني مع الفضاء والمعلومة، وتُعدّ من اللبنات الأساسية لما يُعرف اليوم بالميتافيرس.(المترجمة نقلًا عن

Schroeder, R. (٢٠١١). *Virtual environments and the future of social interaction*. In Journal of Virtual Reality,Springer.)

[١١] يمكن الاطلاع على المقال المنشور في مجلة الفورين افيرز (Foreign Affairs) عبر موقعها الإلكتروني